journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X

ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 104–115 تاريخ النشر: 04–06–2025

Date of Publication: 04-06-2025 pages: 104-115 Year: 2025 N°: 01 Volume: 39

أحمد شوقي في "طبقات الشعراء" لمصطفى صادق الرافعي

Ahmed Shawqi in "The Classes of Poets" By Mustafa Sadiq Al-Rafi'i

الدكتور. باسم بلام

b.bellem@univ-setif2.dz

جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2

تاريخ الإرسال: 2024/11/26 **تاريخ القبول:** 2025/04/10

الملخـــص:

يعالج هذا المقال موقفا نقديا أوَّليًّا لأحد أبرز النقاد العرب في بدايات القرن العشرين، وهو الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، موقفه هذا كان بصدد تقويم تجربة شعرية كبيرة وثرية، صاحبها لُقِّبَ في الأوساط الأدبية "أمير الشعراء"، إنه الشاعر أحمد شوقي؛ حيث صنفه الرافعي في المرتبة الثانية من الطبقة الثانية لأشهر الشعراء فيما بين نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م. لقد حاول هذا المقال أن يتلمَّسَ معايير هذا الموقف الأَوَّلِيِّ من خلال فرز الأدلة التي استند إليها الرافعي في هذا التصنيف، وذلك بتفصيل مجملها، وتحليل عناصرها، ومناقشة محتواها، من أجل أن نتبيَّنَ وزنَ هذا الموقف من حيث قيمته النقدية، وحَيْدَتُهُ العلمية.

الكلمات المفتاحيـــة: مصطفى صادق الرافعي، أحمد شوقي، طبقات الشعراء، النقد العربي الحديث

Abstract:

This article deals witha initial critical point of view of one among the most prominent Arab critics at the beginning of the 20th century, Mustafa Sadiq Al-Rafi'i. His stance involves evaluating a significant and rich poetic experience by a well-known poet in the literary field as he is named the "Prince of Poets" — Ahmed Shawqi, that was ranked by Rafi'i in the second tier of the second class of the most renowned poets between the late 19th century and the early 20th century. This article attempts to explore the criteria Rafi'i used in this classification, detailing and analyzing its elements and discussing its content in order to assess the value of this stance in terms of its critical value and scientific objectivity.

Keywords: Ahmed Shawqi; Mustafa Sadiq Al-Rafi'i; Classes of poets; modern Arab poetry.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X

ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 104–115 تاريخ النشر: 04–06–2025

Date of Publication: 04-06-2025 pages: 104-115 Year: 2025 N°: 01 Volume: 39

المقدمـــة:

برز مصطفى صادق الرافعي (1880م–1937م) في الساحة الأدبية أَوَّلَ ما برز شاعرا وناقدا، فكان أول ديوان نظمه هو (نسيم السحر) الذي ما يزال مخطوطا إلى اليوم، وذلك لما كان ابن تسعة عشر عاما، وأول مقال نقدي رقمه هو مقال (الشعر العربي) الذي نشره في (مـــجلة المنار) وهو ابن عشرين عاما، فكان هذا الاستعداد الطبيعي فيه باعثا قويا له لأن يـــحاول أن يُوجِدَ لنفسه مكانا في ساحة أدبية تزخر بالأسماء الكبيرة واللامعة. وكان له ذلك في صدر الشباب حين أصدر ديوانه ذا الثلاثة أجزاء على التوالي سنوات: 1903م، و1904م، و1906م. وقرَّظَهُ مجموعة من كبار الشعراء، أبرزهم: محمود سامي البارودي (1839م–1904م)، وعبد المحسن الكاظمي (1865م–1935م)، وحافظ إبراهيم (1872م–1932م). كما أثنى شيوخ الأدب على مقدمات أجزاء ديوانه الثلاثة، خاصة المقدمة الأولى(الشعر واجتماع الأسباب) . ثم لما كانت سنة 1905م ألقى الرافعي بمقال (شعراء العصر)، فاهتزت له الساحة الأدبية في مصر، وطفق المشتغلون بالأدب والشعر يبحثون عن صاحبه المجهول. أما سبب الضجة التي أحدثها المقال، فهو أن صاحبه رتَّبَ شعراء عصره في طبقات، وأنزلهم منازلهم التي يرى أنهم أهلوها، وكان لتقديم بعضهم وتأخير آخرين أصداء من القبول القليل والرفض الكثير، ولما كان الشاعر أحمد شوقي (1868م–1932م) أحد أبرز شعراء هذه المرحلة في تاريخ الأدب العربي، فإن لنا أن نسأل: ما كان حظه في هذا المقال من نقد الرافعي؟ وأين مَوْضَعَهُ الرافعي في منظومة الشعراء المحايلين له؟ وما أبرز النقدات التي قدمها الرافعي له؟ ثم ما طبيعة هذه النقدات؟ وما قيمتها؟.

ولا بأس أن نمهد كل ذلك بإجمال الحديث في فكرة "الطبقات" من حيث: مفهومها، وتاريخها.

01/– مفهوم الطبقة

1–1 لغة: جاء في (لسان العرب) لابن منظور: "الطِّبَقُ: غطاء كُلِّ شيءٍ، والجمع أطباق. وقد أَطْبَقَهُ وطَبَّقَهُ فانْطَبَقَ وتَطَبَّقَ: غطَّاهُ وجعله مُطَبِّقًا.. وطَبَقُ كُلِّ شيءٍ: ما ساواه.. والمطابقة: الموافقة، والتطابق: الاتفاق. وطابَقْتُ بين الشيئين إذا جعلتهما على حَذْوٍ واحدٍ وألزقتهما.. والسَّمَوَاتُ الطِّباقُ: سُمِّيتْ بذلك لمطابقة بعضها بعضا؛ أي بعضها فوق بعض.. ابن سيده: والطَّبَقُ الجماعَةُ من الناس يَعْدِلُونَ جماعةً مثلهم.." (ابن منظور، د ت، صفحة 2636). فالمعنى أن المطابقة تقتضي وجود مثيلين أو أكثر يحاذيان بعضيهما بالموافقة والمساواة مع اختلافٍ في المكان علوًّا وسفلاً. ومن المعاني المجازية قولهم: "..الناس طبقات: منازل ودرجات بعضهما أرفع من بعض" (الزمخشري، د ت، صفحة 91).

2–2 اصطلاحا: تَشَكَّلَ مفهوم "الطبقة" أَوَّلَ ما تشكَّلَ في حضن الدراسات الدينية، خاصة علم الحديث منها، لأنه العلم الذي عُنِيَ أصحابه عناية بالغة بمعرفة الأسانيد وما يعتريها من صحة وضعف من جهة رجالها، فالإسناد الذي

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 104–115 تاريخ النشر: 04–06–2025
Date of Publication: 04-06-2025 pages: 104-115 Year: 2025 N°: 01 Volume: 39

هو من خصائص الأمة المحمدية، كان سببا مباشرا في ظهور فكرة "الطبقة"، يقول التهانوي: "وهذا المعنى في اصطلاح المحدِّثين يعني جماعةً اشتركوا في السن ولقاء المشايخ والأخذ عنهم (التهانوي، 1996، صفحة 1125).

وعُنِيَ المحدِّثون ابتداءً بمعرفة أحوال الصحابة الذين هم المؤسسون الأوائل للعلوم الإسلامية، وأقدم ما وصلنا من طبقات المحدِّثين (طبقات ابن سعد) (ت: 230هـ) الذي سُبِقَ إلى الفكرة بكتبٍ أُلِّفتْ قبل كتابه هذا، "غير أنها لم تصلنا، كطبقات أستاذه أبي عبد الله بن عمر الواقدي.." (المجالي، 1992، صفحة 30). . ثم توالت الكتب في ذلك، مثل (طبقات ابن خياط) (ت: 240هـ) وغيره. وكانت هذه الكتب نوعاً "من التراجم يرتب فيه الرجال ويجمعون بحسب العلم الذي تخصصوا فيه، وتفرغوا له، لا بأي اعتبار آخر من اعتبارات الزمان وترتيب الأسماء" (الأدباء، 1955، صفحة 53)، ثم تبسَّطَ الناس في كتابة (الطبقات) على حسب التخصصات، فألفينا: طبقات المحدِّثين، وطبقات الفقهاء، وطبقات المفسرين والقراء، وطبقات النحاة واللغويين، هؤلاء الذين إليهم "يعود الفضل الأول في دخول فكرة الطبقات ميدانَ الأدب" (المجالي، 1992، صفحة 35)

وقياساً على صنيع المحدثين في ترتيب رواة الحديث إلى طبقات، وتصنيفهم إلى ثقات ووضاعين وبين بين، قام علماء الشعر النقاد بترتيب منازل الشعراء وفق معايير عديدة، وسموا هذا الصنيع منهم (طبقات) كما هو شائع في البيئة الثقافية الإسلامية المشتركة المصادر. وكان ابن سلام الجمحي (ت: 231هـ) أشهر من ألف في هذا الباب، فوضع كتابه (طبقات فحول الشعراء)، ومما قاله في المقدمة: "ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام، فنزلناهم منازلهم، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا من حجة، وما قال فيه العلماء.

وقد اختلف الناس والرواة فيهم، فنظر قوم من أهل العلم بالشعر، والنفاذ في كلام العرب، والعلم بالعربية، إذا اختلفت الرواة فقالوا بآرائهم، وقالت العشائر بأهوائها، ولا يقنع الناسَ مع ذلك إلا الروايَةُ عمن تقدم. فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه، فوجدناهم عشر طبقات، أربعَةُ رهطٍ كُلُّ طبقَةٍ، متكافئين معتدلين" (الجمحي، د ت، الصفحات 23–24)

ليبقى هذا الإرث المنهجي قائماً في الحكم على الشعراء، وتتكرس فكرة "الطبقات" في كل العصور الأدبية تقريبا، فثمة شعراء من الصف الأول، وثمة من هو دونهم، ودون دونهم حتى، وهي فكرة تتمشى وأصلَ التفاوت المقرر في كل شيء من الكائنات، ليتردد صدى هذه الفكرة القائمة على أساس الموازنة والمفاضلة بين الشعراء مع كل جيل من أجيال المشتغلين بنقد الشعر العربي، إلى أن يطل علينا مصطفى صادق الرافعي في مطلع القرن العشرين بمقاله المدوِّي (شعراء العصر) الذي بناء على فكرة الطبقات.

02/ – طبقات الشعراء لمصطفى صادق الرافعي:

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 104–115 تاريخ النشر: 04–06–2025
Date of Publication: 04-06-2025 pages: 104-115 Year: 2025 N°: 01 Volume: 39

كان الرافعي شابا يافعا، يشق بخطاه دنيا الأدب في مصر وهي تموج بأسماء الكبار من الشعراء والكتاب وعلماء الأدب واللغة، أمثال: محمود سامي البارودي، وابن التلاميذ الشنقيطي، ومحمد عبده، وسيد بن علي المرصفي، وحافظ إبراهيم، وأحمد شوقي... وكان يطمح إلى أن يكون اسما كبيرا يزاحم الشعراء الكبار، فنشر في صدر الشباب ديوانا من ثلاثة أجزاء فيما بين سنة1903م وسنة 1906م. ثم الجزء الأول من (ديوان النظرات) سنة 1908م، لكن شعلة الشعر بدأت تخبو بين جوانحه بسبب ما وجد في نفسه من ضغط الوظيفة، إذ كان كاتبا في محكمة طنطا براتب يعول به من الأسرة أكثر من عشرة، مع وجود الرقيب على شعره بحكم الوظيفة، وخوضه المعارك الأدبية التي تستترف الوقت والجهد، وضيق الشعر العربي عن أن يحتوي الواسع من المعاني، وإلا كان كنظم المتون في الأكثر (الرافعي، 1950، صفحة 65، 67، 83، 152). وبموازاة تعاطيه الشعر ومنافسته الكبار، كان يكتب المقال النقدي الذي يزن به الشعر مفهوما وأدوات وقضايا، ويزن به الشعراء من حيث قيمة ما ينظمون.

بعد مقاله الأول (الشعر العربي) المنشور في (مجلة المنار) في 28 جويلية 1900م، وبعد مقدمتي الجزأين الأولين من ديوانه ذي الثلاثة أجزاء، نشر الرافعي مقالة مدوية بعنوان (شعراء العصر) في مجلة (الثريا) في جانفي 1905م دون أن يوقعها، ونشرها ممهورة بكلمة نارية فيها كثير من التحدي، جاء في المجلة: "ألقى إلينا مكتب بريد الزيتون يوما ملفا ضخما واردا من مصر، وداخله كتاب موجز، ومعه المقالة المقدمة للنشر. أما الكتاب فهذه صورته بعد الديباجة:

دونك مقالة بكرا لم يُنسَج على منوالها بَعدُ في العربية، حَرِيَّةٌ بأن تُصدِّر بها مجلتك الغراء، ولا يروعنَّكَ شدة لهجتها، فكلها حقائق ثابتة، وإن آلمت البعضَ فإن الحق أكبر من الجميع، وإني لبالمرصاد لكل من ينبري للرد عليها، وأنا كفؤ للجميع، وما إخال أحدا يستطيع أن ينقض حرفا مما كتبته، وإن هم لزموا الصمت فحسبك من سكوتهم إذ ذاك إقرارا بأني أنزلت كل شاعر في المنزلة التي يستحقها، ولا يعنيك معرفة اسمي، فأنا ابن جلا وطلاع الثنايا، فانظر إلى ما قيل وليس لمن قال، وبعد هذا فإن أعجبتك مقالتي فانشرها، وإلا فاضرب بها عرض الحائط. وإني أقترح عليك أن تنشر جميع ما يردك من الردود في المعنى، سواء جاهر أصحابها بأسمائهم أو تستروا، فإن الموضوع طليٌّ شهيٌّ، وفي إطلاقك الحرية للكُتَّاب ما ينشط بهم لحرية الجولان في هذا المضمار. (مصر) أحد المشتركين (قائد، 2022، صفحة 154). ثم ألفيا التوقيع بـــ (*) دون أن يصرح الكاتب باسمه، رغم أن الرافعي ما اعترف يوما بأنه كاتب المقالة، إلا أن المقربين منه وخصومه على السواء يكادون يجمعون على أنها له، منهم: أبو رية في هامش ص29 من (رسائل الرافعي)، وتلميذه محمد سعيد العريان في (حياة الرافعي، ص 42–47).

لقد جعل الرافعي الشعراء في زمانه ثلاث طبقات، وكان حظ شوقي منها أن أنزله الرافعي في المرتبة الثانية من الطبقة الثانية، وهذا إجمال الترتيب الطبقي كما ورد في مقاله (قائد، 2022، الصفحات 154–172)

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 104–115 تاريخ النشر: 04–06–2025
Date of Publication: 04-06-2025 pages: 104-115 Year: 2025 N°: 01 Volume: 39

الطبقة الأولى: عبد المحسن الكاظمي، ومحمود سامي البارودي، وحافظ إبراهيم، ومصطفى صادق الرافعي.

الطبقة الثانية: إسماعيل صبري، وأحمد شوقي، وخليل مطران، وداود عمون، ومحمد توفيق البكري، ونقولا رزق الله، وأمين الحداد، ومحمود واصف، وشكيب أرسلان، ومحمد هلال إبراهيم، وحفني ناصف.

الطبقة الثالثة: أحمد الكاشف، ومصطفى لطفي المنفلوطي، وأحمد محرم، ومحمد إمام العبد، وعلي العزبي، وأحمد نسيم عثمان، وإبراهيم الطباطبائي، ومحمد سعيد النجفي.

1–2 أحمد شوقي والطبقة الثانية:

ما يعنينا من هذا المقال ما تعلق بأحمد شوقي؛ يقدم الرافعي لمقالـــه بالحديث عن دافع كتابته، وهو سوء حـــال الشعر على عهده، إذ يرى أن ما يغلب على الساحة الغَثُّ لا السَّمينُ، فكثر أدعياء الشعر الذين هم عنه بعيدون إلا من جهة الدعوى، حتى إنهم "..قد أصبحوا يتنافسون في أسماء الشعراء كما يتنافسون في ألقاب الأمراء، وقد استويا في الزور، فلا أكثر أولئك شاعر، ولا أكثر هؤلاء أمير" (الرافعي، شعراء العصر، صفحة 42)

إن منطلق الرافعي في تصنيف شعراء زمنه خضع لمرجعية ذوقية خاصة بفهمه لحقيقة الشعر، وهي مرجعية تراثية تؤسس لنفسها انطلاقا من فهم القدامى للشعر، فَهْمٌ تجمله عبارة ذكرها في مـــقاله هذا،وإن كان موردها في الكلام عموما، إن الرافعي سحبها إلى الشعر أيضا، وهي قولهم: "مَغرِسُ الشعر القلبُ، وزارِعُهُ الفكرُ، وقَيِّمُهُ العقلُ، وزَهرُهُ الإعرابُ، وثَمرُهُ الصوابُ، وجانِيهِ اللسانُ" (منقذ، 1935، صفحة 422). وبعد شرحه لهذه العبارة المجملة يخلص الرافعي إلى أن لباب الشعر هو ما يسميه النقاد "الصدق الفني"، فالشعر الحق هو ما استفز في الإنسان الشاعر أحاسيسه، وحفز فكره بتحريك ما ركد فيه، وجعل عقله فطنا نبيها،لا غافلا غافيا، حتى تعتريه النشوة ويستخفه الطرب، فيهتز لسانه على أنغام المعاني كأنما هو جرس يدق ليُســـعَ المتلقين، ويُحدثَ فيهم ما أحدثه في صاحبه، هذا هو الشرط في الشعر الجيد، "وإذا كان الشرط ثقيلا كما علمتَ، ربما لا يكون عنده في هذه الأمة أكثر من أصابع الكف، فما الذي يحمل الناس على الغرور والدعوى حتى ليمكنك أن تضع معجماً ضخماً من أسماء شعراء اليوم؟!" (الرافعي، شعراء العصر، صفحة 43)

ثم يشرع الرافـــعي في إنزال ثلاثة وعشرين شاعراً في طبقاتهم ورتبهم من كل طبقة، ويجعل أحمد شوقي في المرتبة الثانية من الطبقة الثانية كما ذكرنا آنفا، وإذ يفاجئنا هذا الترتيب لأحمد شوقي وهو الذي تلقب بأمير الشعراء، فإن هذا ما توقعه الرافعي من قراء مقاله لغرابة التصنيف، فقال: "سيأخذ بعضَ القراء العَجَبُ إذا رأى شوقي بك في الطبقة الثانية وهو هو شوقي بك، شاعر الحضرة الفخيمة الخديوية" (الرافعي، شعراء العصر، صفحة 55)، . فما هي مسوغات الرافعي التي جعلته يسلك أحمد شوقي في هذه المرتبة وهذه الطبقة؟.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 104–115 تاريخ النشر: 04–06–2025
Date of Publication: 04-06-2025 pages: 104-115 Year: 2025 N°: 01 Volume: 39

2–2 أدلة الرافعي ومناقشتها:

أ– المعاني المكررة، والألفاظ النافرة: وقد ضرب الرافعي لذلك مثالا بقصيدة شوقي (قضى أَرِيَحِيُّ القوم) التي رثى بها منشاوي باشا أحد المحسنين الكبار في مصر، وهي في (23 بيتًا)، يقول في مطلعها (شوقي، 1979، صفحة 270)

قَضَى أَرْيَحِيُّ القَوْمِ وَالقَوْمُ مَنْ هُمُو = فَكُلُّ لَبِيبٍ بَيْنَ جَنْبَيْهِ مَأْتَمُ

وهي قصيدة كل معاني أبياتها مطروقة من قبل كما قال الرافعي، حتى صارت من مستهلك المعاني، مما نجد له أمثالا كثيرة في دويوان الشعر العربي القديم، وإليك نماذج منها دليلا على صحة دعوى الرافعي:

النموذج01: قال شوقي:

أَلاَ إِنَّمَا الدُّنْيَا نَهَارٌ وَلَيْلَةٌ = يُذِيعَانِ مَا تُخْفِي الغُيُوبُ وَتَكْتُمُ

النموذج02: قال شوقي:

لَئِنْ مُتَّ فَالإِنْسَانُ لاَبُدَّ مَيِّتٌ = وَلَكِنَّ رُزْءَ النَّاسِ بِالحُرِّ مُؤْلِمُ

النموذج03: قال شوقي:

وَإِنَّ الفَتَى فِي عَيْشِهِ مَا سَعَى لَهُ = وَإِنَّ الفَتَى مِنْ بَعْدِهِ مَا يُقَدِّمُ

النموذج04: وقال أيضا:

فَمَا كَانَ عِنْدَ النَّاسِ فَالنَّاسُ أَلْسُنٌ = وَمَا كَانَ عِنْدَ اللهِ فَاللهُ أَكْرَمُ

النموذج05: وقال أيضا:

بَكَيْتُ عَلَى الحُرِّ الهُمَامِ وَفَقْدِهِ = وَهَلْ حِيلَتِي إِلاَّ البُكَا وَالتَّرَحُّمُ

ومن المفارقة أن الأستاذ محمد صبري السوربوني، الذي هو جامع شتات (الشوقيات المجهولة)، وهو من رجال الأدب والنقد، كان قد علق على بيتٍ لشوقي من القصيدة:

أَمَا رَاعَكُمْ نَعْشٌ حَوَى ذَلِكَ الغِنَى = وَمَا فِيهِ دِينَارٌ، وَلاَ فِيهِ دِرْهَمُ

فقال: "هذا بيت فخم". (شوقي، 1979، صفحة 270)

ولكن إذا قبلنا بالشطر الأول من نقد الرافعي لقصيدة شوقي هذه، وهو(المعاني المكررة)، فإن في الشطر الثاني (الألفاظ النافرة) غموضا، فما المقصود بالنفور عند الرافعي؟ هل هو النفور الذي اصطلح عليه البلاغيون وهم يُعرِّفون الفصاحة التي هي شرط في البلاغة، أم هو معنى آخر قائم في نفس الرافعي ولا يدركه الناس؟ فإن كان المعنى

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 104–115 تاريخ النشر: 04–06–2025
Date of Publication: 04-06-2025 pages: 104-115 Year: 2025 N°: 01 Volume: 39

الأول، وهو "..أن تكون الكلمات ثقيلة على اللسان وإن كان كل منها فصيحا، ويكون الثقل شديدا متناهيا، كما في قول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ = وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

قيل: إن هذا البيت لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات متتاليات دون أن يتتعتع، لأن اجتماع كلماته، وقرب مخارج حروفها، يحدثان ثقلاً ظاهرا، مع أن كل كلمة منه لو أخذت وحدها ما كانت مستكرهة ولا ثقيلة.

وقد يكون التنافي خفيفا، كما في قول أبي تمام:

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالوَرَى = مَعِي وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي

فقد كرر لفظ (أمدحه) المشتمل على الحاء والهاء، وهما من حروف الحلق، وهذا منشأ الثقل، لا مجرد الجمع بين الحاء والهاء" (طبانة، 1988، صفحة 670) . فإن كان معنى التنافر في عبارة الرافعي ما قرره البلاغيون، فإن قصيدة شوقي التي مثل بها الرافعي تخلو منه خلوا تاما. أما إن كان مقصوده معنى آخر، فإنه لم يوقفنا عليه، ولعل التحامل كان مبعثه في نقد شوقي من هذه الجهة.

ب– يتهم الرافعي أحمد شوقي اتهاما خطيرا، إذ يزعم أن ثمة فرقا واضحا بين شعر شوقي قبل الخمس سنوات الأخيرة؛ أي قبل1900م، وهو تاريخ يحيلنا على زمان صدور ديوان شوقي الأول، وشعره بعدها؛ أي فيما بين 1900م–1905م، يقول الرافعي معللاً: "ولا أدري لهذا الانقلاب سببا إلا إذا صح ما يقال في أن (صبري وسلمان) كانا يهذبان شعر الرجل من قبل. وهو قول لا أجزم به، ولا أرفضه (الرافعي، شعراء العصر، صفحة 55). وهو كلام فيه غمز واضح في شاعرية شوقي التي حسب الرافعي لولا عمل صبري وسلمان فيها بالإصلاح والتهذيب، ما كانت لتأخذ حظها من الشهرة التي عرف بها الرجل، وكرستها الأندية الأدبية في مصر لذلك العهد. فمن هما: صبري وسلمان؟ وما علاقتهما بالرافعي؟.

يقصد الرافعي بـــ(صبري وسلمان) الشاعر إسماعيل صبري (1854م–1923م)، والشيخ عبد الكريم سلمان (1849م–1918م). أما الأول فقد "كان على ود صميم مع شوقي" (الرافعي ع.، 2020، صفحة 112)، ويعترف شوقي بتأثيره فيه وهو يرثيه، فيقول: (شوقي، الشوقيات، 2007، صفحة 108)

أَيَّامَ أَمْرَحُ فِي غُبَارِكَ نَاشِئًا = نَهْجَ المِهَارِ عَلَى غُبَارِ خِصَافِ

أَتَعَلَّمُ الغَايَاتِ كَيْفَ تُرَامُ فِي = مِضْمَارِ فَضْلٍ أَوْ مَجَالِ قَوَافِ

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 104–115 تاريخ النشر: 04–06–2025
Date of Publication: 04-06-2025 pages: 104-115 Year: 2025 N°: 01 Volume: 39

أما الثاني – الشيخ عبد الكريم سلمان – فهو رفيق الشيخ محمد عبده في رحلة الإصلاح، ورئيس (الوقائع المصرية) بعد نفي محمد عبده إلى الشام حتى سنة 1897م، يصفه محمد كامل الفقي بأنه "آية فذة في العلم والأدب" (الفقي، 1956، صفحة 149). كما دبج المقالات الأدبية وغيرها في كبريات جرائد ومجلات تلك الحقبة التاريخية، مثل: المقطم، والجريدة، والآداب، والمؤيد.. أما علاقته بشوقي فيحكي بعض جوانبها شوقي نفسه، يقول: "..إلى أن رفعت إلى الخديوي السابق قصيدتي التي أقول في مطلعها:

خَدَعُوهَا بِقَوْلِهِمْ حَسْنَاءُ = وَالغَوَانِي يَغُرُّهُنَّ الثَّنَاءُ

وكانت المدائح الخديوية تُنشَر يومئذ في الجريدة الرسمية، وكان يحررها يومئذ أستاذي الشيخ عبد الكريم سلمان، فدفعت القصيدة إليه، وطلب منه أن يسقط الغزل وينشر المديح، فود الشيخ لو أسقط المديح ونشر الغزل، ثم كانت النتيجة أن القصيدة برمتها لم تنشر" (شوقي، الشوقيات المجهولة، د ت، الصفحات 20–21). كما أن شوقي لما طبع قصيدته البائية (صدى الحرب) في كراسة صغيرة سنة 1897م، شرح غريبَهَا الشيخ عبد الكريم سلمان، وقد أهدى شوقي رسالته (شيطان بنتاؤور) إلى الشيخ عبد الكريم سلمان، وكان حينها عضوا في المحكمة الشرعية العليا، ومما جاء في إهدائه:

حَتَّى إِذَا أَتْمَمْتُهَا = أَهْدَيْتُهَا عَبْدَ الكَرِيمْ
وَأَنَا المُقِرُّ بِفَضْلِهِ = الذَّاكِرُ الحَقِّ القَدِيمْ (شوقي، شيطان بنتاءور، 2020، صفحة 13)

إن ما ذكره الرافعي من أمر "التهذيب" الذي سرى في شعر شوقي بأيدي إسماعيل صبري وعبد الكريم سلمان يبقى مجرد دعوى لا تسندها شواهد من الأخبار الصحيحة الموثقة، وليست كل علاقة علمية بين علمين من أعلام الأدب تعني بالضرورة أن أحدهما يهذب ما يكتب الآخر إلا إذا قام الدليل على ذلك، وهو ما نعدمه في حالة شوقي مع صبري وسلمان. ثم ما معنى "التهذيب" عند الرافعي؟ فإن كان توجيه الشاعر بالحذف والتغيير والإضافة من قبل من يراهم أهلا لذلك، فهذا لا حرج فيه، ولا يلغي أصالة الإبداع في الشاعر الذي يسترشد بآراء خاصته من الأصدقاء وذوي قرابته ومعارفه، لأنه أمر يكاد يكون في إبداع كل شاعر. أما لحن القول في عبارة الرافعي، فكأن فيه اتهاما لشوقي بالادعاء أنه صاحب النصوص وهو ليس بصاحبها، وهذا تحامل ظاهر.

ج– شهرة شوقي الشعرية لم تكن لاقتداره، وإنما هو فراغ الساحة من الشعراء الكبار أحله المحل الذي هو فيه، فلما كانت "الطبيعة لا تقبل الفراغ"، وبدل أن يملأها الكاظمي، والبارودي، وصبري، وحافظ، والرافعي، أي المجوِّدُونَ من الشعراء الذين جعلهم الرافعي نفسه في الطبقة الأولى وطليعة الثانية، فقد امتلأت بأشعار شوقي، وكرَّسَهُ فراغ الساحة

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 104–115 تاريخ النشر: 04–06–2025
Date of Publication: 04-06-2025 pages: 104-115 Year: 2025 N°: 01 Volume: 39

شاعراً كبيراً مشهورًا؛ فـ "..كان الكاظمي في العراق، والبارودي في سيلان، وصبري من مهذبي شعره على ما يقال، وحافظ في السودان، والرافعي لم يقل الشعرَ بَعدُ على ما قيل لي" (الرافعي م.، شعراء العصر، الصفحات 55–56)

ولنا أن نسأل الرافعي: هل حقيقةً ما ذكره من الموانع يكون سببا وجيها ومعتبرا في عدم وصول أشعار الكاظمي والبارودي وحافظ وصبري إلى صفحات الجرائد والمجلات في ذلك الوقت؟ ثم لِمَ لَمْ يُتِحْ فراغ الساحة المزعوم لغير شوقي من الشعراء الذين تعج بهم الساحة أن يملؤوها مثلما فعل شوقي؟ أين الشعراء المذكورون في طبقات الرافعي الثلاث؟ وأين غيرهم ممن أغفلتهم طبقاته: إبراهيم اليازجي الذي عدَّهُ الرافعي شيخ الأدب، ومحمد عبد المطلب، وأحمد مكي، وأحمد الحملاوي...؟ لِمَ لَمْ يستغل هؤلاء فراغ الساحة من الكبار ويتقدموا كما فعل شوقي على زعم الرافعي؟.

د– مما ساعد أحمد شوقي على أن يكون شاعرا كبيرا عند الناس وليس عند الرافعي في هذه المرحلة على الأقل، هو أنه شاعر خدمته صلته بالقصر الملكي في مصر، وكرَّستْ شهرتَهُ "..إضافَتُهُ إلى الحضرة الخديوية على نحو ما يذكر النحاة في باب (الجر بالمجاورة)" (الرافعي م.، شعراء العصر، صفحة 56)

وهذا الاتهام مردود بما ألفيناه في سيرة الرافعي نفسه من الإقرار بتزلفه للملك فؤاد لما سنحت له الفرصة بذلك، فكيف يعيب على غيره ما يطلبه هو حثيثًا؟ لقد وصل الرافعي بشعره المديحي إلى أن يكون "شاعر الملك"، وكان يستفيد من بعض الامتيازات الملكية، منها أمر الملك بطبع كتابه (إعجاز القرآن) على نفقته، بل يروي صفيه وتلميذه محمد سعيد العريان أنه قال فيما قال له: "كنت في عهد نجيب باشا أذهب إلى القصر فيلقاني بوجه طلق، ويحتفي بي، ويبسط لي وجهه ومجلسه، ويثلج صدري بما يروي لي عن عطف المليك ورضاه، فما أغادر القصر إلا وأنا أشعر كأن نفسي تزداد عمقا، وتمتد طولا، وتنبسط سعة.." (العريان، 2020، صفحة 149)

هـ– لشوقي سرقات شعرية أعرض الرافعي عن ذكرها في مقاله هذا حسبما قال، والسرقة تدلك على نضوب معين الشاعر السارق، ومحدودية الخيال عنده، ولكن الرافعي أعرض عن ذكرها تفصيلا وإن اتهمه بالسرقة إجمالا، بدعوى أن "غيره أيضا لم يسلم منها" (الرافعي م.، شعراء العصر، صفحة 56)، . وهو اتهام يسقط بإعمال قاعدة: "البينة على من ادعى"؛ إذ لو ترك المجال للنقاد أن يصدروا الأحكام المجملة دون تبيين الوجه الذي يسوغ الحكم الذي حكموا به، لكان كل الشعراء ساقطين. ثم إنه ما من شاعر إلا وأخذ عن غيره ولو زعم غير ذلك، وكان حريا بالرافعي أن يتذكر قوله في مقدمة الجزء الثاني من ديوانه: "والشعراء كالمصابيح، ما على أحدها أن يتألق بنور غيره، مادام في كل مصباح زيته" (الرافعي م.، الديوان، 2009، صفحة 216). فهلا شمل الرافعي سرقات شوقي بسعة هذا القول الرحيم، خاصة وأنه لم يمثل لما سرق ولو بمثال واحد.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –

ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 104–115 تاريخ النشر: 04–06–2025
Date of Publication: 04-06-2025 pages: 104-115 Year: 2025 N°: 01 Volume: 39

يختم الرافعي حديثه عن شوقي في مقاله (شعراء العصر) ختاما يذكرنا بشوقي المجيد في أبيات من قصيدة رثى بها حبيب باشا مطران، وهي قوله:

يَهْزُلُ العَيْشُ وَالمَنِيَّةُ جِدٌّ = وَتَضِلُّ الحَيَاةُ وَالمَوْتُ هَادِ
وَخُفُوقُ الفُؤَادِ فِي سَاعَةِ التَّكْوِيـ = ـنِ دَاعٍ إِلَى سُكُونِ الفُؤَادِ
تَطْلُعُ الشَّمْسُ بِالفَنَاءِ عَلَيْنَا = وَعَلَى القَادِمِينَ بِالمِيلاَدِ
فَإِذَا جَدَّدَتْ فَأَبْلَتْ فَأَعْيَتْ = جَاءَهَا حَيْنُهَا بِلاَ مِيعَادِ

ولكنه يغمزه من جديد حين يسأل نفسه وهو يشير إلى الجواب، فيقول ختاما: "فكيف هذا الانقلاب وخمس سنوات لا تبلغ العمر الذي ينطق فيه الصبي؟" (الرافعي م.، شعراء العصر، صفحة 56)

الخاتمـــة:

إن ما يمكن حوصلته مما تقدم أن الرافعي في حكمه على أحمد شوقي كان ناقدا ذاتيا في معظم أحكامه؛ إذ لم يعضد ترتيبه إياه بأدلة علمية بحتة، فسوى عيب (المعاني المكررة) التي اختار لها قصيدة (قضى أريحي القوم)، فإن باقي أدلته لم تكن علمية صرفة، تحضر فيها بقوة شخصية الرافعي حتى تطغى، إنها اتهامات جانبت النقد الموضوعي كلية، ولعل في كلمة تلميذه العريان تفسيرا لذلك، يقول: "هؤلاء الثلاثة: البارودي، وحافظ، والكاظمي، هم كل من أعرف ممن تأثر بهم الرافعي من شعراء عصره. أما شوقي، وصبري، ومطران وغيرهم ممن نشأوا مع الرافعي في جيل واحد، فلا أعرف بينه وبين أحد منهم صلة تمتد إلى أيامه الأولى.." (العريان، 2020، صفحة 37). فما هي إلا العلاقات الشخصية التي حكمت ترتيب هذه المقالة المشحونة بالعنفوان من مقدمتها إلى نهايتها، نهايَةٌ قال فيها الرافعي: "وسنرى ما يكون من امتعاض الشعراء بعد هذا المقال، ولكني أطلب إليهم أن يخفضوا على أنفسهم، فلا أنا من معية الأمير، ولا من حاشية السفير، وليس ما كتبت إلا رأيي. فليبق كل في رأيه وعند نفسه أشعر الشعراء" (الرافعي م.، شعراء العصر، صفحة 65). أخيرا ألا يمكننا أن نذهب مذهبا يقول: هل كان الرافعي يطمع في أن يحل محلّ شوقي حين جعل نفسه في الطبقة الأولى وأنزل شوقي إلى الطبقة الثانية؟. ثم هل سيصمد رأي الرافعي في شوقي أمام ازدياد تمكن شوقي من بسط نفوذه الشعري في مصر والعالم العربي في السنوات القادمة؟ أم أنه سيغير رأيه وقد كتب عنه بعد وفاته سنة 1932م مقالين مهمين (شوقي) و(بعد شوقي)؟ سيجيبنا الرافعي بنفسه عن ذلك بعبارة تدل على الموقف الأخير الذي ينقض الموقف الأول الذي ناقشناه في هذا المقال، يقول الرافعي بعد أن يذكر أعلام الشعر في مصر في القديم والحديث: "..على أن كل هؤلاء وكل أولئك لم يستطيعوا أن يضعوا تاج الشعر على مفرق مصر، ووضعه شوقي وحده" (الرافعي م.، وحي القلم، 2001، صفحة 297)

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 104–115 تاريخ النشر: 04–06–2025
Date of Publication: 04-06-2025 pages: 104-115 Year: 2025 N°: 01 Volume: 39

المصـــادر والمراجـــع:

أحمد بدوي طبانة. (1988). معجم ةالبلاغة العربية. جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع ودار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع.

’ḥmd Badawī Ṭabānah. (1988). Mu‘jam tālblāghh al-‘Arabīyah. Jiddah : Dār al-Manārah lil-Nashr wa al-Tawzī‘ wa Dār al-Rifā‘ī lil-Nashr wa al-Ṭibā‘ah wa al-Tawzī‘.

أحمد شوقي. (1979). الشوقيات المجهولة. بيروت: دار المسيرة.

Aḥmad Shawqī. (1979). al-Shawqīyāt al-majhūlah. Bayrūt : Dār al-Masīrah.

أحمد شوقي. (2007). الشوقيات. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

Aḥmad Shawqī. (2007). al-Shawqīyāt. al-Qāhirah : al-Majlis al-A‘lá lil-Thaqāfah.

أحمد شوقي. (2020). شيطان بنتاءور. القاهرة: مؤسسة هنداوي.

Aḥmad Shawqī. (2020). shayṭān bntā’wr. al-Qāhirah : Mu’assasat Hindāwī.

أحمد شوقي. (د ت). الشوقيات المجهولة. القاهرة.

Aḥmad Shawqī. (D t). al-Shawqīyāt al-majhūlah. al-Qāhirah.

أسامة بن منقذ. (1935). لباب الآداب. القاهرة: المطبعة الرحمانية.

Usāmah ibn Munqidh. (1935). Lubāb al-Ādāb. al-Qāhirah : al-Maṭba‘ah al-Raḥmānīyah.

جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. (د ت). أساس البلاغة. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

Jār Allāh Abū al-Qāsim Maḥmūd ibn ‘Umar alzmḥshry. (D t). Asās al-balāghah. al-Qāhirah : al-Hay’ah al-‘Āmmah li-Quṣūr al-Thaqāfah.

جهاد المجالي. (1992). طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري. عمان: دار الجيل ومكتبة الرائد العلمية.

Jihād al-Majālī. (1992). Ṭabaqāt al-shu‘arā’ fī al-naqd al-Adabī ‘inda al-‘Arab ḥattá nihāyat al-qarn al-thālith al-Hijrī. ‘Ammān : Dār al-Jīl wa-Maktabat al-Rā’id al-‘Ilmīyah.

عبد الرحمان ابن خلدون. (1984). تاريخ ابن خلدون. بيروت: دار القلم.

‘Abd al-Raḥmān Ibn Khaldūn. (1984). Tārīkh Ibn Khaldūn. Bayrūt : Dār al-Qalam.

عبد الرحمان الرافعي. (2020). شعراء الوطنية. القاهرة: مؤسسة هنداوي.

‘Abd al-Raḥmān al-Rāfi‘ī. (2020). shu‘arā’ al-Waṭanīyah. al-Qāhirah : Mu’assasat Hindāwī.

عبد الرحمان بن حسن قائد. (2022). صون القريض. الرياض: شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع.

journal of Emir Abd El kader University of Islamic Sciences
Constantine- Algeria
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
– قسنطينة الجزائر –
ISSN: 1112-4040 & EISSN: 2588-204X
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 39 العدد: 01 السنة: 2025 الصفحة: 104–115 تاريخ النشر: 04–06–2025
Date of Publication: 04-06-2025 pages: 104-115 Year: 2025 N°: 01 Volume: 39

‘Abd al-Raḥmān ibn Ḥasan Qā’id. (2022). Ṣawn al-qarīḍ. al-Riyāḍ : Sharikat Āfāq al-Ma‘rifah lil-Nashr wa al-Tawzī‘.

مجموعة من الأدباء. (1955). التراجم والسير،. القاهرة: دار المعارف.

Majmū‘ah min al-Udabā’. (1955). al-tarājim wa-al-siyar,. al-Qāhirah : Dār al-Ma‘ārif.

محمد بن سلام الجمحي. (د ت). طبقات فحول الشعراء. جدة: دار المدني.

Muḥammad ibn Sallām al-Jamḥī. (D t). Ṭabaqāt fuḥūl al-shu‘arā’. Jiddah : Dār al-madanī.

محمد بن مكرم ابن ابن منظور. (د ت). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.

Muḥammad ibn Mukarram Ibn Ibn manẓūr. (D t). Lisān al-‘Arab. al-Qāhirah : Dār al-Ma‘ārif.

محمد علي التهانوي. (1996). كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

Muḥammad ‘Alī al-Tahānawī. (1996). Kashshāf iṣṭilāḥāt al-Funūn wa-al-‘Ulūm. Bayrūt : Maktabat Lubnān Nāshirūn.

محمد كامل الفقي. (1956). الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة. القاهرة: المطبعة المنيرية.

Muḥammad Kāmil al-Fiqī. (1956). al-Azhar wa atharuhu fī al-Nahḍah al-adabīyah al-ḥadīthah. al-Qāhirah : al-Maṭba‘ah al-Munīrīyah.

محند سعيد العريان. (2020). حياة الرافعي. القاهرة: مؤسسة هنداوي.

Muḥannad Sa‘īd al-‘Iryān. (2020). ḥayāt al-Rāfi‘ī. al-Qāhirah : Mu’assasat Hindāwī.

مصطفى صادق الرافعي. (1950). رسائل الرافعي. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

Muṣṭafá Ṣādiq al-Rāfi‘ī. (1950). Rasā’il al-Rāfi‘ī. al-Qāhirah : Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabīyah.

مصطفى صادق الرافعي. (2001). وحي القلم. بيروت: دار الكتاب العربي.

Muṣṭafá Ṣādiq al-Rāfi‘ī. (2001). waḥy al-Qalam. Bayrūt : Dār al-Kitāb al-‘Arabī.

مصطفى صادق الرافعي. (2009). الديوان. بيروت: المكتبة العصرية.

Muṣṭafá Ṣādiq al-Rāfi‘ī. (2009). al-Dīwān. Bayrūt : al-Maktabah al-‘Aṣrīyah.

مصطفى صادق الرافعي. (بلا تاريخ). شعراء العصر. القاهرة.